كلية الآداب والفنون

قسم الفنون

السنة أولى جذع مشترك فنون/ السداسي الثاني

مقياس: السينما الناطقة

المحاضرة رقم 04 بعنوان:

" الصناعة السينمائية الأمريكية ونظام الاستوديوهات"

اعتُبرت فترة العشرينيات مرحلة ازدهار ونمو في السينما الأمريكية من حيث الإنتاج والتوزيع والعرض، وأضحت بداية السينما الناطقة مجالًا جديدًا للتسويق وجذب المتفرجين، لما شهدته هذه المرحلة من سيطرة واضحة لشركات الإنتاج الكبرى.

لم ينتهِ الصراع الاقتصادي حول تسجيل براءات اختراع تقنيات الصوت بين الشركات الكبرى نهائيًا إلا حوالي سنة 1935، حين أصبحت صناعة السينما الأمريكية خاضعة لسلطة ثماني شركات رئيسة. وبذلك أصبح ما يقارب 95% من الإنتاج السينمائي الأمريكي في أيدي هذه الشركات، من بينها الشركات الخمس الكبرى، وهي:

- شركة بارامونت: أسسها أدولف زوكور.

- شركة فوكس: كانت مرتبطة بالمصالح الصناعية لعائلة روكفلر.
- شركة الإخوة وورنر: ارتبطت بدورها برؤوس أموال كبرى.
- شركة آر كيه أو: تابعة لشركات الراديو الأمريكية الكبرى التي كانت تسيطر عليها مصارف قوية.
- شركة مترو غولدوين ماير :(MGM) أسسها صامويل غولدوين.

كانت هذه الشركات الخمس توزّع أشرطتها بنفسها، وتمتلك عددًا كبيرًا من أهم صالات العرض داخل الولايات المتحدة وخارجها، وبلغ إنتاجها نحو 80% من مجموع الإنتاج الهوليوودي.

ورغم هذه الهيمنة، فإن الكساد الاقتصادي ترك أثره في الصناعة السينمائية، إذ عانت بعض الشركات الكبرى من انهيار مالي في مطلع الثلاثينيات، مثل: بارامونت، وفوكس، وآر كيه أو. أما شركة الإخوة وورنر فقد اضطرت إلى التخلي عن عدد من صالات العرض، في حين كانت شركة مترو غولدوين ماير الوحيدة تقريبًا التي حافظت على أرباحها بفضل امتلاكها شبكة قوية من دور العرض.

أما الشركات الثلاث الصغرى، فهي:

- شركة يونيفرسال.
- شركة كولومبيا.
- شركة يونايتد أرتيست.

فقد كانت تنتج مجتمعةً نحو 15% من الأفلام الكبرى، في حين كان ما تبقى (5%) يُنتَج من قِبل مستقلين أو شركات ثانوية. وكانت المصارف التجارية الكبرى، مثل "جي بي مورغان" و"جون دي روكفلر" ومصارف "هيرست"، تشرف ماليًا على هذه الشركات، وقد تعزز نفوذها بعد ظهور السينما الناطقة، خاصة في ظل الأزمة الاقتصادية الكبرى.

غير أن شركات الإنتاج الصغرى عرفت اضطرابًا ملحوظًا نتيجة محدودية مواردها واعتمادها الكبير على التوزيع. وتُعد شركة يونايتد أرتيست من أبرز شركات التوزيع، وقد أسسها كلٌّ من شارلي شابلن وماري بيكفورد ودوغلاس فيربانكس، وكانت تنتج وتوزع حوالي 12 فيلمًا سنويًا. كما ركزت شركتا كولومبيا ويونيفرسال على إنتاج أفلام منخفضة التكلفة عُرفت باسم أفلام "الحرف ب(B Movies) "، وهي أفلام قصيرة نسبيًا، تتراوح مدتها بين 55 و75 دقيقة، ولا تعتمد على نجوم كبار أو ديكورات ضخمة، بل تقوم على شخصيات وأحداث متكررة، وميزانيات محدودة.

وقد بادرت الشركات الكبرى نفسها إلى تمويل أفلام "الحرف ب"، إذ بلغت نسبتها حوالي 50% من إنتاجها السنوي، نظرًا لانخفاض تكلفتها وضمان عائدها المالي. وكان لكل أستوديو كبير وحدة خاصة بإنتاج هذا النوع، فانقسم الإنتاج إلى صنفين اقتصاديين رئيسين:

- أفلام "الحرف أ.(A Movies) "
- أفلام "الحرف ب.(B Movies) "

وعليه، اعتمدت معظم دور العرض نظام عرض فيلمين ضمن البرنامج نفسه(Double Feature) ، مع تغيير البرنامج مرتين أو ثلاث مرات أسبوعيًا لجذب الجمهور. وأدى انتشار هذا النمط إلى ظهور شركات متخصصة في أفلام "الحرف ب"، مثل شركتي "مونوجرام" و"ريبابليك"، اللتين ركزتا على أفلام الغرب الأمريكي (الويسترن) وأفلام الحركة.

وقد امتلكت هذه الشركات أستوديوهات صغيرة، واقتصر إنتاجها على أفلام ذات ميزانيات محدودة. ومع ذلك، سعت شركة ريبابليك إلى دخول مجال أفلام "الحرف أ"، مما أتاح للمخرجين فرصة أوسع للتعبير والانتقال إلى الإنتاج المستقل، ومن أمثلة ذلك فيلم "The Quiet Man" لجون فورد، وفيلم "Johnny Guitar" لنيكولاس راي.

أسهم إنتاج أفلام "الحرف ب" في تعزيز نظام الأستوديو، إذ حافظ على استمرارية العمل داخله، وثبّت عقود الفنانين، وأتاح استقطاب مواهب جديدة وتجريب أنماط فنية مختلفة. كما وضعت الحكومة الفيدرالية في واشنطن برامج لإنقاذ الشركات من الإفلاس في إطار سياسات الإصلاح الاقتصادي، مدعومةً بمؤسسات وول ستريت المالية.

ورغم هيمنة نظام الأستوديو إبداعيًا خلال الثلاثينيات، فإن أبرز سماته كانت التنسيق والتكامل في استراتيجيات السوق وعمليات الإنتاج. وقد أطلق عليه المؤرخ السينمائي تينو باليو وصف "البناء العظيم لهوليوود". وركّز هذا النظام على إنتاج الأفلام الروائية، التي بلغت نسبتها حوالي 90% سنة 1939، مما أتاح إنتاج أفلام "البريستيج(Prestige Films) "، وهي أفلام طويلة ومرتفعة التكلفة، من بينها فيلم "سنو وايت والأقزام السبعة" لشركة ديزني.

كما ساهم نظام الأستوديو في خلق توليفات نجمية داخل الفيلم الواحد، حتى سُمّي هذا العصر بـ"العصر الهوليوودي الكلاسيكي". وتميزت كل شركة بتخصص نوعي محدد؛ فشركة وورنر، مثلًا، اشتهرت بأفلام الجريمة والعصابات وأفلام السيرة الذاتية، محافظةً بذلك على أسلوبها الخاص.

أما فيما يتعلق بالتعاقد مع المواهب، فقد كان عنصرًا أساسيًا في بنية النظام، إذ أنشأت الأستوديوهات وحدات إنتاج منظمة تعتمد على نجوم بعينهم، وشكّلت توليفات نمطية استمرت خلال حقبة الثلاثينيات.

المكتبة البيبليوغرافية:

*صالح دهيني: قصة السينما، تاريخ، فن، ثقافة

*ديفيد روبنسون: تاريخ السينما العالمية 1980/1895، ترجمة: إبراهيم قنديل.

*باري كيث جرانت، موسوعة السينما، تر :أحمد يوسف، ج1، ج2 ، ج3.